تاريخ استقبال المقال: 2018/07/04 تاريخ قبول نشر المقال: 2019/06/03 تاريخ نشر المقال: 2019/12/18

# تداولية الإشاريات في الخطاب الروائي لإبراهيم الكوني -"رواية نزيف الحجر انموذجا "-

# The pragmatic deixis in Ibrahim al-Kony's narrative discourse ''Stone Bleeding Novel as a Model''

**لبنى بوخناف**
**جامعة 8 ماي1945 قالمة**
**boukhenaf.loubna22@gmail.com**

***ملخص:***

*تحاول هذه الدراسة التوقف عند آليات التداولية في الكشف عن الخصائص الخطابية للنص الأدبي، ويرجع سبب الإختيار إلى قدرة المنهج التداولي وتحديدا العناصر الإشارية على اختلاف أنواعها (الشخصية، الزمنية ،المكانية ) على تشكيل بنية الخطاب الروائي وربطها بالسياق العام الذي يتفاعل معه. لذا ستركز هذه الدراسة على استجلاء الأبعاد التداولية للإشاريات الخطابية في رواية " نزيف الحجر " لإبراهيم الكوني وإبراز قدرتها على سبر كوامن المضمون الروائي.*

***الكلمات المفاتيح :*** *الخطاب الروائي، التداولية ،الإشاريات ،السياق ، الضمائر.*

***Abstract* :**

*This study tries to exploit the mechanisms of pragmatism to reveal the characteristics of the discourse for the literary text. The reason for the choice resides in the capacity of the method of pragmatics and more particularly DEIXIS elements of different types (personal, temporal, spatial) to form the structure of the novelistic discourse to relate it to the general context in which it interacts with it. Therefore, this study will focus on clarifying the pragmatic dimensions of DEIXIS elements in Ibrahim Al-KONY'S novel 'Bleeding the Stone' and demonstrate their ability to discover the hidden content of the novel.*

***Key words:*** *the novelistic discourse, pragmatics, DEIXIS elements, context pronouns.*

**مقدّمة:**

تكتسب الجمل والعبارات قيمتها داخل سياقاتها حتى تتضح مقاصد المتكلم ويصل المعنى المقصود إلى المتلقي ،أي لابد من دراسة الكلمات التي يوجهها المتكلّم داخل السياق المرتبط بها، وهنا تحديدا تتجلى أهمية التداولية التي تُعنى" بالجانب الوظيفي والتداولي والسياقي في النص أو الخطاب، وتدرس مُجمل العلاقات الموجودة بين المُتكلم والمُخاطب مع التركيز على البعد الحجاجي، والإقناعي وأفعال الكلام داخل النص. بمعنى أن التداولية هي العلم الذي يدرس المعنى مع التركيز على العلاقة بين العلامات ومُستعمليها والسياق أكثر من اهتمامها بالمرجع أو الحقيقة أو بالتركيب".[1]

تُركّز التداولية اهتمامها على مبدأ القصدية ومحاولة فهم العلاقة بين المتكلم والمتلقي داخل السياق لا خارجه أي في مجال الإستعمال ،وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر بين الدارسين حول '**التداولية**' فإن معظمهم يُقر بأن قضيتها "إيجاد القوانين الكلية للإستعمال اللغوي ،التعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي وتصير التداولية من ثم جديرة بأن تسمى "علم الإستعمال اللغوي".[2]

يستمر الجدل نتيجة سوء الفهم الحاصل بين المُتكلّمين والمُستمعين أثناء عملية التواصل وصعوبة تحديد موطن الخلل الكامن وراء عدم نجاح العملية التواصلية، أهو مرتبط بعدم قدرة المُتكلم على التبليغ الجيّد وإيصال أفكاره بطريقة سليمة واضحة؟ أم لعدم قدرة المستمع على فهم مقاصد المُتكلم دون الوقوع في خطأ التفسير المغلوط أو الفهم الخاطئ؟ هنا تحديدا تظهر أهمية التداولية كونها " تختص بتقصي كيفية تفاعل البنى والمكونات اللغوية مع عوامل السياق لغرض تفسير اللفظ ومساعدة السامع على ردم الهوة التي تحصل أحيانا بين المعنى الحرفي للجملة والمعنى الذي قصده المتكلم"[3].

هذا ما يساعدنا على التعامل مع الخطاب الأدبي الذي غالبا ما يُحمّل بدلالات ومقاصد مباشرة وغير مباشرة تعكس ثقافة الكاتب وتُسهم في إيصال المضمون الروائي بتنوع دلالاته ومقاصده " فلغة النص الأدبي وظيفية وتداولية تحمل في مظانها أبعادا سياقية،سياسية،اجتماعية، ثقافية، تاريخية، نفسية...أي: لم يعد النص الأدبي علامات وبنيات داخلية مُغلقة، بل بنية ودلالة ووظيفة سياقية قبل كل شيء لذا لابد من مراعاة السياق والوظيفة في تحليل النصوص والخطابات الأدبية".[4] فكل ما في الخطاب يدل ويُحيل ويحمل مقاصد مُتعددة ضمن سياقات محددة.

**1 ) الإشاريات مبحثا تداوليا:** تُعد الإشاريات (les déictiques) مجالا تداوليا خصبا للبحث والدراسة وقد اعتمدناها كآلية تحليلية نكشف من خلالها الإمكانات التي تحتويها لغة الخطاب الروائي **لإبراهيم الكوني** وتحديدا روايته" **نزيف الحجر**" كأنموذج يتضمن الأثر التداولي الإشاري بكل ما يحمله من دلالات ومقاصد لا يمكن كشف معانيها إلا من خلال تحديد السياق القولي لها، ولا يتحدد دور الإشاريات عند الظاهر منها بل يتجاوزها إلى أخرى ذات الحضور الأقوى وهي الإشاريات المُستقرة في بنية الخطاب العميقة على اعتبار أن " التلفظ يحدث عن ذات بسمات معينة وفي مكان وزمان مُعيّنين هما مكان التلفظ ولحظته، إذ تجتمع في الخطاب الواحد على الأقل ثلاث إشاريات هي (الأنا، الهنا، الآن) وعليه تكون الإشاريات هي تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المُتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه" [5].

تُصنّف الإشاريات ضمن تداولية الدرجة الأولى وتتجلى مهمتها في "دراسة الرموز الإشارية أي التعابير المُبهمة ضمن ظروف استعمالها أي سياق

تلفظها...وقد كان بيرس صاحب تعبيري الإشارة والعلامة الإشارية"[6]، فالإشاريات إذن تأخذ بعين الاعتبار ملابسات السياق وظروفه قصد توضيح المعنى وتقريبه، وبالتالي إزالة الغموض وتحقيق الفهم الصحيح الواضح بعيدا عن التعقيد وسوء الفهم، وهنا تتجلى قيمتها الوظيفية كونها " تهتم مباشرة بالعلاقة بين تركيب اللغات والسياق الذي تُستخدم فيه"[7].

تُعنى الإشاريات- بوصفها مقولة تداولية- بطبيعة اللغة المُستعملة كوسيلة تواصل أساسية بين طرفين بارزين هما المتكلم والمتلقي ضمن سياق مُحدد لا تتجاوزه ولا تحيد عنه، وهذا نفسه ما سبق وأشار إليه بوبر(Popper) أثناء حديثه عن الوظائف الأساسية للغة الإنسانية قائلا: "الوظيفة التعبيرية( لتعبير الشخص عن حالاته الداخلية) الوظيفة الإشارية (لتبليغ الشخص المعلومات المُتعلّقة بحالاته الداخلية إلى الآخرين) الوظيفة الوصفية (لوصف الأشياء في المحيط الخارجي) الوظيفة الحجاجية (لتقييم الحجج وتبريرها)"[8].

مما سبق نخلص إلى أن الإشاريات مقولة تداولية لا تتحدد إلا بالرجوع إلى السياق الخاص بها فهي لا تحمل أي دلالة منفصلة عنه- السياق- كما أنها تتغير بتغيره، فالإشاريات تذكير دائم للباحثين النظريين في علم اللغة "بأن اللغات الطبيعية وُضعت أساسا للتواصل المباشر بين النّاس وجها لوجه كما تظهر أهميتها البالغة حين يغيب عنا ما تشير إليه فيسود الغموض ويستغلق الفهم"[9].

ويمكن تفصيل عملية التواصل بين المُتخاطبين وكيف تعمل هذه الإشاريات على تقسيم الملفوظات كالآتي:

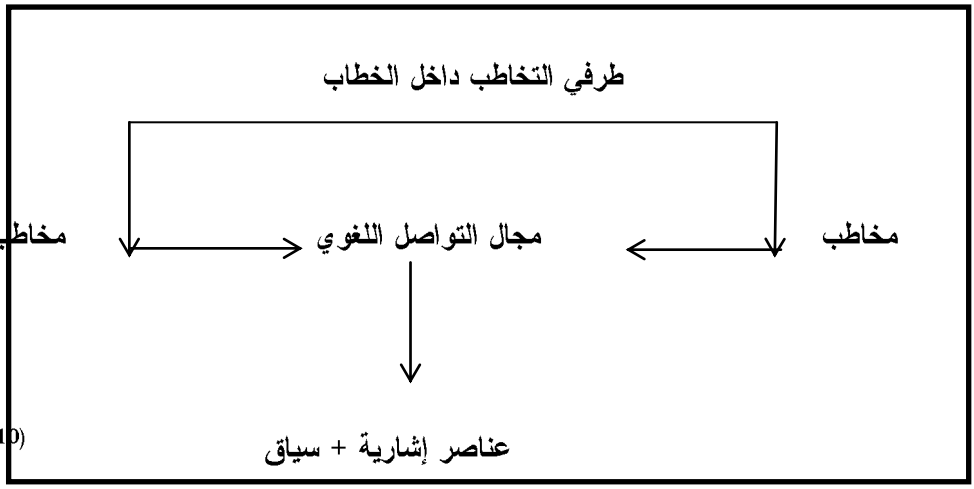


(10)

**2) مفهومها :**

يُراد بالإشاريات لغة "الإشارة والتحديد والتعيين والعرض والتمثيل والتبيين وهو مشتق من كلمة ديكتيكوس(DEICTICES) اليونانية".[11] أما إصطلاحا فتعتبر مصطلحا تقنيا " يُستعمل لوصف إحدى أهم الأشياء التي نقوم بها في أثناء الكلام والتأشير يعني الإشارة من خلال اللغة ويُطلق على أية صيغة لغوية تُستعمل للقيام بهذه الإشارة مصطلح التعبير الإشاري ( DEICTIC EXPRESSION)، تُسمى التعابير التأشيرية أيضا الإشاريات(indexical) وهي أُولى الصيغ التي ينطق بها الأطفال الصغار"[12].

تتعدّد مُسمّيات الإشاريات بتعدد الباحثين ووجهات النظر حيث تُطلق عليها عدّة مصطلحات ومفاهيم منها " المعينات (déictiques)، القرائن المُدمجة أو الواصلة (Embrayeurs) كما هو عند رومان جاكبسون (Jakobson)، أو الوحدة الإشارية (index)عند شارل بيرس(Peirce)، أو التعبير الإشاري كما لدى هيليل(bar. Hillel) أو المؤشر (indicateur) أو القرائن الإشارية ( shift ers)..."[13].

تُعرف الإشاريات أيضا بأنها "مفهوم تداولي يجمع كل العناصر اللغوية التي تُحيل مباشرة على المقام من حيث وجود ذات مُتكلّمة وزمان التّكلم ومكانه، ومن ثم فلابد من استحضار السياق المكاني والزماني والشخوص لتحديد الإشاريات".[14] وبالتالي فتحديد الإشاريات يكون وفقا لسياق معين، وفي ظل مراعاة الظروف العامة المحيطة به والمتعلقة بزمان ومكان مُحدّدين وحول شخصيّات بعينها.

ويبقى التعريف الأعم للإشاريات يشمل " كل ما يشير إلى ذات أو موقع أو زمن إشارة أوّلية لا تتعلق بإشارة أخرى سابقة أو لاحقة، فيُمثّل العنصر الإشاري معلما لذاته لا يقوم فهمه أو إدراكه على غيره، وتُمثّل العناصر الإشارية فيه جُملة الذوات التي تكون العناصر الأساسية الدنيا في عالم الخطاب، وتتصل هذه الذوات مباشرة بالمقام دون توسط عناصر إحالية فهي ترتبط بالحقل الإشاري إرتباطا آنيا محدودا مباشرا لا يتجاوز مُلابسات التلفظ التي يتقاسمها طرفا التواصل، وهي في ذلك تُقابل العناصر الإحالية التي ترتبط بالسياق وما يتعلق به من مُلابسات ويشمل العنصر الإشاري:

- لفظا مفردا دالا على حدث أو ذات أو موقع ما في الزمان أو المكان.
- جزءا من الملفوظ أو الملفوظ كاملا."[15]

سنحاول إلقاء الضوء على دور الإشاريات في دراسة عناصر إنتاج الخطاب وتشكيله في رواية "**نزيف الحجر**" انطلاقا من أنواعها الثلاث (الإشاريات الشخصية الإشاريات الزمانية، الإشاريات المكانية).

## أ) الإشاريات الشخصية: (PERSONAL DEICTICS):

تتمثل في الضمائر الدالة على المُتكلّم وحده وإذا أردنا التفصيل أكثر يمكن القول أنها تشمل "أنا أو أنا المتكلم ومعه غيره مثل نحن، وكذلك الضمائر

الدالة على المخاطب مفردا أو مثنى أو جمعا مذكرا أو مؤنثا، فضمائر الحاضر هي دائما عناصر إشارية لأن مرجعها يعتمد اعتمادا تاما على السّياق الذي تستخدم فيه"[16]، فالإشاريات الشخصية إذن تتجلى في ضمائر المتكلم (أنا، نحن، تاء المتكلم، ياء المتكلم) وضمائر المخاطب (تاء المخاطب، أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتم، أنتن).

يدخل النداء في مجموعة الإشاريات الشخصية "لأنه ضميمة تُشير إلى مُخاطب لتنبيهه أو توجيهه أو استدعائه... وظاهر أن النداء لا يُفهم إلا إذا اتضح المرجع الذي يشير إليه"[17]، وبالتالي فضمائر المتكلم (أنا مثلا) تُشير إلى من قالها أي: أنا المتكلم أو أنا من أتحدّث ولم تشمل عملية التحدث غيري، فالضمير( أنا) يدل على الفرد المُتكلم ولا يُحيل على غيره، فلا يُشير مثلا إلى المخاطب، كما أنه لا يُشير إلى زمان أو مكان مُحدّدين، ولكنه بالضرورة يفترض وجود مستقبل أي الطرف الآخر إذا اعتبرنا وجود عملية تخاطبية؛ أي وجود حوار أو كلام بين طرفين هما: المتكلم والمُستمع(أنا أنت– أنت/أنا– أنتما –أنتم)، وهذا يعني أنه " في كل مرة يتحدث فيها (أنا) فإن هذه الكلمة لا يسعها إلا التدليل(الإشارة) على الفرد الذي قال 'أنا' بهدف الحديث عن نفسه... وعلى هذا فـ"**(أنا)** له دلالة عامة وحيدة وثابتة تكمن في أنها تدل على مُوجّه الرسالة ومُتلقّيها(**أنت**)... لذا فمن الخطأ اعتبارهما بمثابة أشكال فارغة تستقبل دلالة مختلفة لدى استخدام إحداها"[18]. وقد وظف الروائي إبراهيم الكوني مجموعة من الإشاريات الشخصية أبرزها ضمير المتكلم (**أنا، نحن**) مثل:

- هل لهذا السبب لا نُجاور أحدا؟ (ص10)
- أنا أسمع محادثات الجن في الكهوف كل يوم...أنا أخاف الجن (ص10)
- أنا أحرس الوادي. أنا أحرس كل وديان مساك ...ماذا أفعل(ص 14)

- إننا مسلمون...نحن مسلمون برغم أننا لا نُصلي ولا نُزكي ولا نحج (ص18)

- ما عسانا نفعل بالآثار؟ ألا تعرف أننا بحد ذاتنا آثار؟ نحن مثلك آثار تُزار(ص19)

- أدركتُ ودّانا تائها في العراء الفسيح فطاردتُه بالمهري...اضطررت أن أترجل عن المهري وأهجم على الحيوان المجنون وليس في يدي سوى حبل الليف (ص25).

- تذكرتُ الآن، الآن تذكرتُ (ص144) ،أنت أبي عرفتُك... أُريدُ أن أخبرك (ص70).

تزخر رواية نزيف الحجر بالكثير من الإشاريات الشخصية التي جاءت في صيغة المتكلم بضميريه **"أنا، نحن"** ويُشير الضمير **أنا** في أغلب المواضع إلى **'أسوف'** الشخصية البطلة فبمجرد تلفظه ب:**أنا** يكون قد وضع أمامه وبطريقة منطقية مستمعا أو متلقيا يُشار إليه في أغلب الأوقات إن لم نقل كلها بضمير المخاطب **'أنت'**، واعتماده هذا الضمير رسم في أغلب مناحي الرواية ملامح شخصيته وقد ترجم من خلالها نوعا من الإستقلالية رغم أنه يعيش حبيس العادات والتقاليد التي تصل عندهم –الطوارق– درجة القداسة، ونلمح ذلك في جرأة السؤال "هل أجدادنا جن...أنا لا أخاف الجن...أنا أسمع مُحادثات الجن"[19] . وهذه الكلمات البسيطة على لسان بطل الرواية (أسوف) تعكس الغرض وراء التقليل من استخدام ضمير المتكلم' **نحن**' لتفرُّد الذات المتكلمة–أسوف– بمواقفه الشخصية وعدم اقتناعه التام بما يتوارثه والده من مبادئ وأفكار خاصة ما يتعلق منها بالإنعزال وعدم مجاورة الناس وتفضيل العيش المُنفرد وسط الصحراء إلى الأبد.

إن ضمير المتكلم' **نحن**' يُحيلناعلى ملمح الأسرة الواحدة من باب القرابة والعيش المُشترك تحت سقف بعض العادات والتقاليد التي ألفوها فيما بينهم وقد كان ضمير المتكلم (**أنا**) خير دليل على فطنة وذكاء (أسوف) ومدى براعته في الإجابة كقوله (أنا لا أعرف آثار الودان) فقد تظهر إجابة عادية مرادها النفي لكنها في الحقيقة إجابة وتأكيد لا يدع مجالا للشك أنه لا يريد أن يُستدرج في الكلام، لذا قدّم إجابة جامعة مانعة فقوله "لا أعرف" يعني جميعا لا نعرف لأنه وحده من يسكن تلك المنطقة، وبما أنه لا يعرف آثار الودان فهو ينفي إحتمال وجودها أصلا وهنا تحديدا تظهر الدلالات الغنية لضمير المتكلم في الإحالة على أدق المعاني الظاهرة منها والمُضمرة في سياقات الكلام المتعددة ،لأن الضمائر عند بنفنيست (**Benveniste**) **"**أشكال فارغة من دون مضمون ما دامت لم تدخل في السياق لكن هذه الأشكال تجد لنفسها محتوى إنطلاقا من لحظة تلفظ الشخص بها في مقام مُحدّد فالضمير' **أنا/ أنت**' لهما دلالة في ذاتهما على المتكلم أو المخاطب، والسياق هو الذي يدل على معرفة من المتكلم؟ ومن المخاطب**"** [20].

تنوّعت الكلمات التي تُشير إلى ضمير المتكلم وتعدّدت دلالاتها مثل" **ياء المتكلم**: تركني(ص18) أنني(ص21) أيامي(ص21) يدي(25) قبلتني، رقبتي أذني(112)/ **وتاء المتكلم** مثل: أكلتُ (ص24) طاردتُ (ص25) قلتُ (ص105) اضطررتُ(ص25) عرفتُ (70) تذكرتُ، كنتُ (144)/ **وضمير الجمع**: نُجاور، ندفع، إننا، نُصلي، نُزكي، نحج (ص18) علينا، حياتنا، جئنا (ص19) **والضمير المستتر أنا**: أسمع (ص10)أشرح، أستطيع (ص18) أصدق(ص107).

كما وظّف الكوني الضمير أنت وغيره من **ضمائر المخاطبة** قصد تحقيق نوع من التواصل ولتقريب الشخصيات والأحداث إلى الواقع، وبالتالي تفعيل

عملية التواصل حيث استعمل كلمات من مثل:" لكنك قلت(ص9)، أنت من اليوم حارس، أنت عيوننا، عليك أن تراقبهم، لا تدعهم، لا تسمح... افتح... لاتغفل... أنت العساس (ص14) أنت مسكين...لم تأكل(ص20)عليك بالصبر، أين خبأت إبلك (144ص).

استعمل إبراهيم الكوني ضمير المخاطب إستعمالا إشاريا لافتا تنوّع بين(**أنت، الكاف، التاء**) غير أن ضمير المُخاطب حقيقة تجاوز أبعاد التلقي أو التخاطب العادي لأن رواية' **نزيف الحجر**' أسالت من خلال الحوار بين شخصياتها من متكلمين ومتلقين عديد القضايا الخفية خاصة تلك التي يطرحها الحوار البسيط بين الشخصيات، والتي تحمل دلالات متنوعة تعكس جدلية الصراع الإجتماعي والأخلاقي والحضاري داخل المكان العام(الصحراء)" ولكنك قلت إن الكهوف مسكونة بالجن(ص9) نعم إذا تجاوزت الأشرار لحقك الشر(ص10) أنت لست حيا أنت ميت(ص20) إذا لم تدُلّنا على الودان نهارك أحرف(ص106)". لقد تظافرت ضمائر المتكلم والمخاطب في الحوارات الموظفة من قبل '**الكوني**' لتتجاوز الفعل التواصلي البسيط أو المحادثة العادية وتنقل خبايا الحياة داخل الصحراء على ألسنة ساكنيها فتعكس بذلك التنافر الحاصل بين الأنا والأنت، بين حب الصحراء والخوف منها، بين تقديسها موطنا والطمع في خيراتها كنزا، بين الداخل والخارج، المفتوح والمُغلق.

وعليه يمكننا القول إن **الإشاريات الشخصية** لعبت دورا بارزا في رواية " **نزيف الحجر**" من خلال حضور الشخصيات عبرها، كما أنها أضاءت جوانب عدة كانت مغمورة في البنية العميقة للرواية وهذا ما أحدث تأثيره الإيجابي لدى المتلقي "فالمتكلم الفرد يعمد إلى اللغة وهي الملك المُشاع،

فيقتطع منها ما يحتاج إليه للتعبير عن حاجاته وبمجرد حدوث التلفظ يُصبح ذلك كلاما مُلكا له فتنحسر الأبعاد الجماعية في اللغة كي تحل محلها الأبعاد الفردية المقترنة" **بالآن وهنا والأنا والأنت**" وقرائنها هي العناصر الإشارية، وهذه القرائن شرط في فهم الملفوظ وإعطائه معنى لأنها تربطه بالمقام"[21]. وهنا تحديدا يبرز دور الإشاريات كأحد أهم المفهومات التداولية تأثيرا.

**ب) الإشاريات المكانية :( spatial DEICTICS )**

تُحيل على أماكن يكون استعمالها وتفسيرها يعتمد على معرفة المُتكلّم وقت التلفظ أو على مكان آخر معروف للمُخاطب أو المُتلقي" ولتحديده يستلزم معرفة العنصر الإشاري من جملة القُرب أو الوجهة، ثم الوقوف على ما تُشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة للمكان أي السياق المادي الذي قيلت فيه"[22]. فببساطة **(الهنا والهناك)** قد تكون هي نفسها بالنسبة لعدّة أماكن أو أشخاص تتحدد عندهم الأمكنة المتواجدين فيها فيُقال '**هنا**' أما '**هناك** 'فهي الأبعد ولكن أي الأمكنة نقصد هذا ما يُحدّده سياق الكلام عامة فهنا " لعلها هنا حيث تقرأ أنت، أو هنا حيث أكتب أنا، أو هنا أخرى لمتكلم آخر. لا بد أن من هنا وهناك تعني من **مكان/فضاء** المُتكلّم في النص ومن فضاءات أخرى بعيدة"[23].

لا يسعنا سوى التوغل بين سطور رواية" نزيف الحجر" لنبرز أثر الإشاريات في الإحالة على أماكن جعلها الكوني الإطار الجغرافي الذي حرّك شخصياته من خلالها في فضاء صحراوي فسيح، وتشمل الإشاريات المكانية بصفة عامة " ظروف المكان ويعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للخطاب أو للمخاطب والسامع ولعل أكثر الإشاريات المكانية الواضحة هي: **هذا/ ذاك** وظروف المكان: **هنا**

،**هناك، تحت**"[24]. ويوظفها إبراهيم الكوني في روايته على الشكل الآتي: "هذا الرسم المحفور في الصخور(ص8)، هذا المنظر يضحكه(ص9)، هل يزورك سياح كثيرون هنا(ص18)، استلقى تحت صخرة في السطح(ص3) هنا يبدأ نهر الرمل العظيم (ص124)، هل جئت إلى هنا كي تتفرج علي(ص107)، لا أحد صرع الودان في هذه المناطق(ص56)، ففي هذه البلدان(ص116)، هناك قرّر أن ينتظر...(ص38) ".

تعتمد الإشاريات المكانية في تفسيرها على المُتكلم والمُستمع في سياق الكلام سواء **(هناك)** الدالة على البُعد أو **(هنا)** التي تدل على القرب أو غيرها تلك التي تُفسّر في الإطار المكاني للشخص المُتكلم والتي تحملنا بطريقة غير مباشرة إلى مسرح الأحداث فنتعايش معها، لأن الإشاريات تلعب دورا أساسا في في تقريب صورة الشخصيات إنطلاقا من أمكنتها وتحويلها إلى واقع حقيقي ،هذا نفسه ما يجعل المُتلقي يتقبّلها فتُحدث عنده كمّا من الإعجاب والإستحسان.

لم يتوقف الكوني في توظيف الإشاريات عند نقل صورة الطبيعة الصحراوية إنما تجاوز ذلك إلى حد التفصيل مؤكدا تنوع الإشاريات المكانية وتعددها في رواية نزيف الحجر "هذا وادي الغزلان، وتلك شعبة الصيادين، وذلك جبل الودان ،وذلك سهل الرعاة " [25]، وقد اجتمعت كلها تحت لواء الهنا الأكبر**(الصحراء)** كما وقعت **'الهنا'** مرارا في مقابلة سياقية مع **'الهناك'** كمقابلة لعالم الصحراء الأكثر قداسة مع العالم الأوروبي الأكثر تطورا فتصادمت بذلك أفكار العالمين على أرض الصحراء " من أراد أن يخرج من المكان أراد أن يخرج من بدنه...لا حياة لمُهاجر في أرض الغربة... اللعنة السماوية ستدركه أينما حل". [26]

انطلاقا من المكان تظهر أبرز القضايا الإنسانية التي يعيشها الإنسان الصحراوي داخل المكان العام **(الصحراء)** وبين كل رُكن وصخرة وجبل:

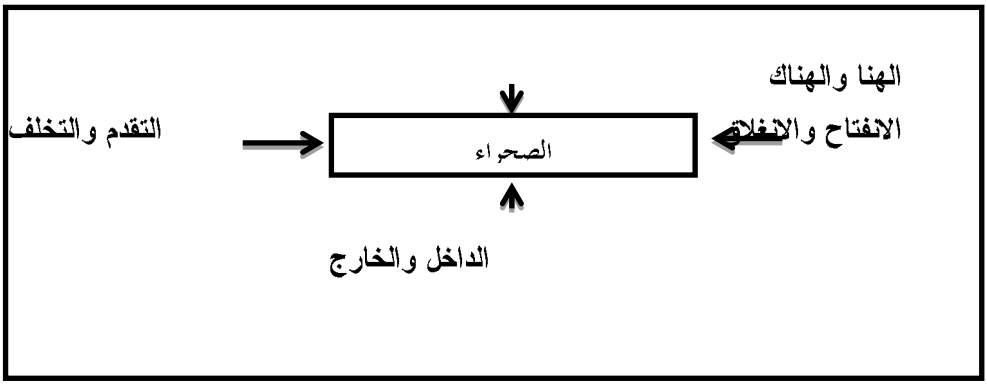


أراد إبراهيم الكوني أن يُبيّن أنه يمكن للمكان الواحد أن يحتضن كل هذه القضايا ويتحمّل عبء مُشكلاتها التي يبقى محورها الأساس "الإنسان الصحراوي " سواء في تكيُّفه مع بيئته أو في مُواجهته الآخر، وقد كان إدراكنا مُعتمدا أساسا على الإشاريات المكانية الواردة في سياق الكلام، وتُقاس أهمية ذلك من خلال الحقيقة القائلة: **"**هناك طريقتان رئيسيتان للإشارة إلى الأشياء هما: إما بالتسمية أو الوصف من جهة أولى وإما بتحديد أماكنها من جهة أخرى، ومعرفة موقع المُتكلّم في الخطاب بالضبط تستلزم معرفة مكان المُتكلم واتجاهه"[27].

**ج) الإشاريات الزمانية (temporal DEICTICS):**

كلمات تؤشر للزمان من قبيل **(الآن، عندئذ، مساء، صباح...)** ولكل فعل أو حدث آنيته، فحين نقول:**"** أنا الآن أقرأ، تُحيل الآن إلى زمن تعرفه الأنا في هذه الجملة ويرتبط بها وترتبط به، وحين نقرأ الآن حصحص الحق على لسان امرأة العزيز في سورة يوسف إلى زمنها وزمن يوسف –عليه السلام–

لا زمنك أنت بينما تقرأ، ولا زماني أنا بينما أكتب" [28]، وتُعرف الإشاريات الزمانية أيضا بأنها " الملفوظات التي تدل على زمان يُحدّده السياق وذلك بالقياس إلى زمان التلفظ الذي هو مركز الإشارة الزمانية في القول، وتكمن قيمة التداولية أنه بدون تحديد زمن التكلّم يلتبس الأمر على المُتلقي ويصعب عليه الفهم... وقد يُشير إلى الزمان الكوني الذي يشمل السنين والأشهر والأيام، أو يشير إلى الزمن النحوي الذي يتحدّد معناه من الكلمة في حالتها التركيبية "[29].

استعمل الكوني في روايته صيغ إشارية زمانية مُتعددة توزّعت بين الإشاريات الزمانية الدالة على الحاضر مثل" صحراء اليوم (ص12)، وفي اليوم التالي (ص41) الآن جاء دورنا (11) صباح اليوم التالي، ومنها الدالة على الماضي البعيد والقريب مثل "عبر آلاف السنين(ص8)، منذ قديم الزمان(ص10)، منذ آلاف السنين (ص15)، طوال هذه السنين(65)، ألف عام (66)، في ذلك الزمان(96)، منذ سنوات طويلة(79)، منذ ثلاثين عاما(86)". وهي أزمنة لا يُمكن فهم معناها وإدراكه مالم يتحدد زمن التكلم أو التلفظ الذي لا يخرج عن سياق مُعيّن يدل عليه ويُتمّم المعنى كاملا، وهذا ما تُساهم في تحقيقه الإشاريات الزمانية فهي" كل طبيعة لفظية تشير إلى زمن بعيد يُحدّده السياق قياسا على زمن التكلم الذي يُشكل مركز الإشارة الزمانية في الكلام...لأن الإشاريات الزمانية تعمل على تأطير عملية التواصل داخل نطاقها الزمنيُ، وتُعبّر عن إندماج المتكلم والمخاطب معا داخل الزمن النصي والتلفظي والتواصلي"[30].

يستذكر أُسوف بطل الرواية أحداث الماضي البعيد والتي نفهم جيدا أنه لم يعشها إنما ينقلها نقلا وجدانيا عن طريق عملية التذكر، ويستقبلها القارىء بدوره فيُحدّد إطارها داخل خانة الذكريات مثل" نذر نذرا من زمان قبل أن

تولد..آلاف السنين من العطش.. جمعنا معا سنوات الجفاف القاسية قبل أن تُولد...في ذلك العام"[31]. كما وظف الكوني العنصر الإشاري' **الآن** ' الدال على الحاضر فهو يُشير إلى زمن معين إنه زمن تكلّم شخص ما في مكان ما وفي سياق مُحدّد، ويبقى أُسوف حاضرا في الزمن مرة من خلال حركاته وأفعاله وتواصله مع غيره من الشخصيات، وغائبا في الزمن نفسه مرات أخرى أثناء توقف الحركة وانتظاره لمصيره.

هكذا تنوعت الإشاريات الزمانية وانتقلت بنا من الماضي إلى الحاضر والمفارقة هي أن المكان ذاته لم يتغير(**الصحراء**) لكن ملامحه تتغيّر بتغير زمن الشخصيات والأحداث وبالسياق عامة، حيث يُظهر زمن الأب – **الماضي**– قوة الصحراء وصلابتها وأسمى عبارات الطهر والقداسة ،فكانت المأوى الأبدي إلى درجة رغبته في تملكها وهذا ما يعكس علّة نفوره ورفضه الآخر، ويسمتر الأمر ذاته في زمن أُسوف –**الحاضر**– مع غياب التعصب وحضور الشخصية المكتشفة الراغبة في المعرفة البعيدة عن الإنطواء، في مقابل شخصيات يستحضرها الزمن نفسه وتعيشه وفق مبدأ الطمع والاستغلال (كقابيل). وعليه فكل أزمنة الرواية متداخلة ترتبط أساسا بالسياق فبمعرفة مرجع الإشاريات الزمنية يُصبح معنى النص مفهوما، وبالتالي تصل الرسالة واضحة ويتحقق الفهم والإدراك.

**خاتمة:**

هناك أهمية لدراسة بعض النماذج من رواية نزيف الحجر لإبراهيم الكوني من زاوية التعابيرالإشارية سواء ما تعلّق منها بالإشاريات (الشخصية، المكانية، الزمانية) وقد توصّلنا إلى أنها عامل هام في تكوين بنية الخطاب،

حيث تجاوزت مُجرد التمييز والتسمية إلى إبراز مواطن الصراع والانحياز، وأيضا الانتصار لقضية الانتماء والهوية.

**- <u>الإحالات والهوامش</u>:**

1- جميل حمداوي التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف، ط1، 2015 ص 03.

**2**- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب -دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي-دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، تموز- يوليو، 2005، ص 6،17 .

**3**- جورج يول، التداولية، ترجمة: قصي العتابي،الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، ط (1)، 1431ه - 2010م ، ص 13.

**4**- جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، مرجع سابق، ص14،15.

**5**- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب- مقاربة لغوية تداولية - دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط1، مارس 2004، ص81 .

**6**- فرانسواز أرمنيكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، منشورات مركز الإنماء القومي، الرباط ، المغرب(دط)،(دت)، ص 38،41.

**7**- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب-مقاربة لغوية تداولية- مرجع سابق، ص 82.

**8**- المرجع نفسه، ص 14.

**9**- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر (دط)، 2002م، ص 17.

**10**- حمادي مصطفى، تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني- مقاربة تحليلية لكشف المقاصد والأبعاد- ، مجلة الأثر، العدد26، سبتمبر 2016، ص 65.

**11**- جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، مرجع سابق، ص 22.

**12**- جورج يول، التداولية، مرجع سابق، ص 27.

**13**- جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، مرجع سابق، ص22.

**14**- كاظم جاسم منصور العزاوي، التعبير الإشاري في الخصيبي- مقاربة تداولية- مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 24، العدد 1، 2016م، ص 74.
**15**- الأزهر الزناد، نسيج النص- بحث في ما يكون به الملفوظ نصا- المركز الثقافي العربي بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ص 116، 115.
**16**- حمادي مصطفى، تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني، مرجع سابق، ص 65.
**17**- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 19.
**18**- جان سيرفوني، الملفوظية، ترجمة: قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا،(دط)، 1998، ص 27،28.
**19**- إبراهيم الكوني، نزيف الحجر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3 1992م، ص59
**20**- كاظم جاسم منصور العزاوي، التعبير الإشاري في الخصيبي – مقاربة تداولية- مرجع سابق، ص 75.
**21**- الأزهر الزناد، نسيج النص- بحث في ما يكون به الملفوظ نصا- مرجع سابق، ص 117، 116.
**22**- حمادي مصطفى، تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني، مرجع سابق، ص 67.
**23**- بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية-من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي- شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1 ،2010، ص 72.
**24**- سحالية عبد الحكيم، التداولية امتداد شرعي للسيميائية، ضمن أشغال الملتقى الدولي الخامس""السيمياء والنص الأدبي" ، جامعة محمد خيضر بسكرة، من 15-17 نوفمبر2008، ص 431.
**25**- إبراهيم الكوني، نزيف الحجر، مرجع سابق، ص11.
**26**- المرجع نفسه، ص 110.
**27**- كاظم جاسم منصور العزاوي، التعبير الإشاري في الخصيبي- مقاربة تداولية- مرجع سابق، ص82.
**28**- بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية- من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي- مرجع سابق ، ص72.
**29**- حمادي مصطفى، تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني، مرجع سابق ص66.

**30**- كاظم جاسم منصور العزاوي، التعبير الإشاري في الخصيبي – مقاربة تداولية- مرجع سابق، ص79.

**31**- إبراهيم الكوني ، نزيف الحجر، مرجع سابق ،ص 48،49،79،91.

**المصادر والمراجع:**

**الكتاب العربي الحديث أو المترجم:**

1- جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف، ط1، 2015.

**2**- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب -دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي-دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، تموز- يوليو، 2005.

**3**- جورج يول، التداولية، ترجمة: قصي العتابي،الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، ط (1)، 1431ه - 2010م.

**5**- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب- مقاربة لغوية تداولية - دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان ،ط1، مارس 2004.

**6**- فرانسواز أرمنيكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، منشورات مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب(دط)،(دت).

**9**- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر (دط)، 2002م.

**14**- كاظم جاسم منصور العزاوي، التعبير الإشاري في الخصيبي- مقاربة تداولية- مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 24، العدد 1، 2016م.

**15**- الأزهر الزناد، نسيج النص- بحث في ما يكون به الملفوظ نصا- المركز الثقافي العربي بيروت، لبنان، ط، 1993م.

**18**- جان سيرفوني، الملفوظية، ترجمة: قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا،(دط)،1998.

**19**- إبراهيم الكوني، نزيف الحجر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3 1992م.

**23**- بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية-من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي- شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1 ،2010.

**المجلات والدوريات:**


- حمادي مصطفى، تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني- مقاربة تحليلية لكشف المقاصد والأبعاد- مجلة الأثر، العدد26، ص 65، سبتمبر 2016.
- كاظم جاسم منصور العزاوي، التعبير الإشاري في الخصيبي- مقاربة تداولية- مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية ،المجلد 24، العدد 1، ص 74، 2016م.
- سحالية عبد الحكيم، التداولية امتداد شرعي للسيميائية، ضمن أشغال الملتقى الدولي الخامس "السيمياء والنص الأدبي"، جامعة محمد خيضر بسكرة، من 15-17 نوفمبر2008، ص 431.